من الإلحاد إلى الاعتقاد

(دراسةٌ تحليليّةٌ للأسباب الّتي دفعت الفيلسوف أنطوني فلو إلى الاعتقاد بالإله)

هاشم الضيقة[1]

الخلاصة

تنتهي هٰذه الدراسة إلى أنّ الأطروحات الإلحاديّة بشكلٍ عامٍّ تستند إلى أسبابٍ غير كافيةٍ، بل ضعيفةٍ، وغالبًا ما تدعو المنصفين من العلماء إلى العزوف عنها بمجرّد أن يبينَ لهم ضعفها، وينظروا بعينٍ واعيةٍ إلى أدلّة الطرف الآخر.

هٰذا، ويعدّ أنطوني فلو الفيلسوف الملحد الأوّل في العالَم الناطقِ بالإنجليزيّة، من أولٰئك العلماء الّذين أرادوا الوصول إلى الحقيقة، فمشى في هدى الدليل حتّى تخطّى ظلمة الإلحاد، متمسّكًا بمنهج قيادة الدليل لا سوقه وتلفيقه.

بيّنت هٰذه الدراسة أهمّ الأسباب الّتي دفعت فلو إلى الإلحاد، ومن ثمّ الأسباب الّتي دعته إلى الاعتقاد، ثمّ تناولت كلا المرحلتين - بما شملته من أسبابٍ ونتائج - بنظرةٍ تحليليّةٍ.

الكلمات المفتاحية: الاعتقاد، الإلحاد، الدليل، الأسباب، أنطوني فلو.

---

(1) هاشم الضيقة، لبنان، السطح الثالث في قسم الفقه والمعارف الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية.
VICTORIOUS.NATION2@GMAIL.COM

المقدّمة

تقتضي القوانين العقليّة[1] أن لا يذعن الإنسان بأيّ دعوى أو مسألةٍ[2] دون وجود دليلٍ محكمٍ يقودُه إلى صحّتها ويكون مُنقِّحًا لذلك الاعتقاد، ومن هنا يمكن القول إنّ من أخطر الآفات الفكريّة والأمراض العلميّة الّتي يمكن أن يُمنى بها الباحث في هٰذا المضمار هو انصياعه نحو دعوى نظريّةٍ معيّنةٍ، فعقيدةٍ محدّدةٍ، ثمّ عكوفه على سَوق الأدلّة وحشدها لِما اعتقده مسبقًا.

ولو تدبّرنا في الفرق بين (قيادة الدليل) و(سوقه) لاتّضح فرقٌ جوهريٌّ على صعيد المنهج، وبتبعه يتّضح لنا أيّ المنهجين يخدم في بناء الفكرة وتطويرها وتخليص العقيدة وتهذيبها، وأيٌّ منهما محكومٌ على اتّباعه بالجمود والركود. هٰذا، وإنّ الشخصيّة مورد البحث متمسّكةٌ بالمنهج الأوّل؛ لذا حقّ تناولُ تجربتها العلميّة في قراءةٍ تحليليّةٍ.

يُعدّ الفيلسوف البريطانيّ المعروف أنطوني فلو[3] (ANTONY FLEW) شخصيّةً

---

(1) نقصد من القوانين العقليّة: قانون التناقض: يقضي هٰذا القانون بامتناع اجتماع النقيضين وارتفاعهما من طرفٍ واحدٍ وفي ظرفٍ فاردٍ. وقانون العلّيّة: إذ يقضي هٰذا القانون أنّه متى ما وُجد شيءٌ بعد الانتفاء، فإنّ وجوده ليس بذاته بل بغيره.

(2) يستثنى من ذٰلك الأوّليّات من أقسام القضايا بحسب تصنيف المنطق الأرسطيّ، حيث إنّ تصوّر الطرفين والتوجّه إلى النسبة بينهما يكفي في الإذعان بثبوت المحمول للموضوع فيها. [انظر: الإشارات والتنبيهات "المنطق"، ابن سينا، ص 454 و455]

(3) أنطوني جيرارد نيوتن فلو (1923-2010): فيلسوفٌ بريطانيٌّ ينتمي إلى تيّار الفلسفة التحليليّة الّتي تهتمّ بإرجاع الفلسفة إلى اللغة وتحليل التراكيب اللغويّة؛ لاستكشاف عالم الواقع بوصفها حاكيةً عنه، ألحد في سنّ المراهقة، وانتقد الفكر الدينيّ بعد نموّه العلميّ، وقد ألّف أكثر من ثلاثين كتابًا أغلبها يحاول دحض فكرة الدين، ولٰكنّه عدل عن إلحاده في أواخر عمره. [راجع: هناك إلٰهٌ: كيف غيّر أشهر ملحدٍ رأيه؟، أنطوني فلو، ص3 و51 – 52]

نادرةً؛ لما اكتنفته من تحوّلٍ جذريٍّ على الصعيد الفكريّ والعقديّ، وقد اخترنا تسليط الضوء على هٰذه التجربة العلميّة من واقعنا المعاصر لإبراز تحوّلاتها وتحليلها، ولسنا في المقام بصدد تعويم هٰذه الشخصيّة والتهويل من شأنها. نعم، قد نتّفق معه في جهةٍ ونخالفه في جهاتٍ أساسيّةٍ أخرى، ولا يظنّنّ القارئ أنّنا ننتصر لفكرةٍ معيّنةٍ برأي هٰذا العالم، وإنّما نجعله على طاولة البحث بما يشكّل مسيرةً علميّةً انتهت إلى بعض النتائج النظريّة والاعتقاديّة المتّسقة مع ما تُفضي إليه الفطرة والمنطق البرهانيّ.

لقد كان أنطوني فلو مدافعًا بشدّةٍ عن الأفكار الإلحاديّة وناقدًا شرسًا للدين إلى حدٍّ قال عنه الدكتور رمسيس عوض: «إذا كان برتراند راسل (Bertrand Russell)[1] وصديقه ألفريد آير (Alfred Ayer)[2] مِن أبرز مَن هاجموا الدين قبل قبل الحرب العالميّة الثانية، فإنّ أنطوني فلو يعدّ واحدًا من أهمّ منتقدي الدين في الفترة الّتي أعقبت هٰذه الحرب» [رمسيس عوض، ملحدون محدثون ومعاصرون، ص 86]؛ إذ إنّه لم يألُ جهدًا في الدفاع عن عقيدته تلك بكتاباته ومحاضراته ومناظراته الّتي كانت تصبّ في اتّجاه "ليس هناك إلٰهٌ"، متّبعًا المنهج الفلسفيّ، منطلِقًا من قيادة الدليل لا سوقه وتلفيقه، كما اتّضح الفرق بين الأمرين في صدر الكلام. فبعد رحلةٍ في الإلحاد دامت أكثر من نصف قرنٍ عدَل أشرسُ الملحدين عن إلحاده على أساس ذٰلك المنهج والمنطلَق، وأبرز كتاب له يعبّر عن المرحلة الأخيرة "هناك إلٰه"[3].

وهٰكذا، مرّ مركبُ أنطوني فلو الفكريّ في الإلحاد لينتهي بالاعتقاد، وقد كان "الدليل"

---

(1) براتراند راسل (1872-1970): فيلسوفٌ ورياضيٌّ وكاتبٌ بريطانيٌّ، حاز على جائزة نوبل عام 1960.

(2) ألفريد آير (1910 ـ 1989): فيلوسفٌ بريطانيٌّ.

(3) وقعت تحت يدي الطبعة الثانية من كتاب "هناك إلٰهٌ: كيف غيّر أشهر ملحدٍ رأيه؟" تأليف: أنطوني فلو، ترجمة: صلاح الفضيلي، راجعه وعلّق عليه: الشيخ مرتضى فرج، وقد صدرت هذه الطّبعة عام 1438 هـ عن العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

في رحلته تلك إمامَ العقل وربّان السفينة على الرغم من الطعون الّتي وجّهت إليه والهجومات التسقيطيّة من قبل الخصوم الفكريّين في كلٍّ من المرحلتين على حدٍّ سواءٍ.

- فما الأسباب والدوافع وراء إلحاده وإنكاره المبدأ؟
- وما الأسباب الّتي دفعته إلى ترك الإلحاد، وإلى الاعتقاد؟
- بماذا اعتقد أنطوني فلو في نهاية المطاف؟ وهل أصبح مؤمنًا متديّنًا؟ أم أنّه التحق بركب الربوبيّين[1]؟
- ما القيمة المعرفيّة للأدلّة الّتي تمسّكَ بها في رحلتي الإلحاد والاعتقاد؟

نحاول في هٰذه الدراسة أن نجيب عن تلك الأسئلة متمسّكين بمنهجين: أحدهما المنهج الاستقرائيّ، إذ نحصي الأدلّة الأساسيّة ونقدّمها بأسلوبٍ جذلٍ وسهلٍ، وثانيهما المنهج التحليليّ، حيث نسلّط الضوء في النهاية بنظرةٍ تحليليّةٍ على الأدلّة، مبيّنين قيمتها المعرفيّة وصلاحيّتها في الدلالة على ما ذهب إليه الفيلسوف البريطانيّ المذكور.

التعريفات

ورد في العنوان جملةٌ من المصطلحات الّتي لا بدّ من تحديدها قبل خوض غمار البحث؛ ذٰلك ليتّضح للقارئ العزيز محلّ الكلام تصوّرًا، باعتبار أنّ التصديق والإذعان في النتائج متفرّعٌ عن التصوّر الصحيح للمفردات الأساسيّة:

---

(1) الربوبيّون: لفظٌ يطلق على أتباع الاتّجاه الربوبيّ، وهو مذهبٌ فكريٌّ يقضي بـ"الاعتقاد بضرورة وجود إلٰهٍ خلق العالم بكلّ قوانينه ولٰكنّه مع ذلك يؤكّد على عدم وجود تبريرٍ عقليٍّ للاعتقاد بأنّ الله يولي اهتمامًا خاصًّا بالإنسان والعدالة والإنسانيّة". [سولمون، الدين من منظورٍ فلسفيٍّ: دراسة نصوص، ص 185 و186]

الإلحاد: نريد بالإلحاد في هٰذه المقالة (القول بعدم وجود إلٰهٍ) أو (الموقف اللاأدريّ تجاه وجود إلٰهٍ)، سواءٌ أكان كلٌّ من هٰذين الموقفين مستندًا إلى سببٍ فلسفيٍّ أو طبيعيٍّ. وليس البحث عن الإلحاد الناتج عن أسبابٍ نفسيّةٍ انفعاليّةٍ، أو عن اللادينيّة وإنكار النبوّات والرسالات. نعم، قد نتعرّض في طيّات البحث بالإشارة إلى بعض المسائل المرتبطة بالقضايا والمعطيات الدينيّة بشكلٍ عامٍّ وبالمقدار الّذي يخدم النتائج المتوخّاة.

الاعتقاد: المراد من الاعتقاد هنا هو التصديق المنطقيّ ـ المستند إلى دليلٍ ـ بوجود قوّةٍ غيبيّةٍ موجِدةٍ، وليس الحديث عن الإيمان القلبيّ أو الاعتقاد بدينٍ من الأديان السماويّة.

الدليل: نريد به ما يعمّ الدليل البرهانيّ والأسباب والدوافع.

الأسباب: نريد بها الدوافع الّتي تُتّخذ مبرّرًا للتسليم بمطلوبٍ ما مطلقًا؛ سواءٌ كانت ممّا يصحّ الاستناد إليها في مقام اتّخاذ موقفٍ فكريٍّ (كاليقينيّات)، أم ممّا لا يصحّ الاستناد إليها (كالمظنونات).

الفرضيّة: مصطلحٌ يعبّر عن الفكرة الّتي لم يبرهن عليها، أو لم يقم عليها الدليل الكافي، وكذٰلك يُعبّر عن ذٰلك بـ "النموذج"، و"القضيّة"، و"المسألة".

الإلٰه: المقصود من الإلٰه هنا هو المبدأ، سواءٌ أكان المبدأ الّذي بشّرت به الأديان وأطلقت عليه اسم "الله"، أم المبدأ الّذي يعبّر عنه بعض الطبيعيّين بـ "المصمّم الذكيّ" و"العقل الذكيّ".

المطلب الأوّل: أسباب الإلحاد لدى أنطوني فلو

"أنا أعرف أنّه ليس ثمّة إلٰهٌ".

بالرغم من عشرات المناظرات والمناقشات الّتي أجراها أنطوني فلو مع كبار

العلماء حول موضوع "الإلٰه"[1] بقي متمسّكًا بأسبابٍ كان يعتبرها أدلّة على الإلحاد، أو على الموقف اللاأدريّ بأحسن التقادير. وبعد ذٰلك لن تستغرب إذا رأيته خارجًا من بعض مناظراته قائلًا: «نظام الاعتقاد المتعلّق بالإلٰه يتضمّن التناقض» [فلو، هناك إلٰهٌ، ص 96]، و«أنا أعرف أنّه ليس هناك إلٰهٌ»، ولأنّه من أصحاب الدليل كما عرفنا عنه في المقدّمة؛ صحّ أن تسأل أيّها القارئ عن الأسباب والدوافع الّتي قادت فلو إلى هٰذه النتيجة. فما هي تلك الأسباب والدوافع؟

يمكن تلخيص جميع ما تمسّك به للدفاع عن موقفه الإلحاديّ في تلك الفترة بأسبابٍ ثلاثةٍ، هي: خلوّ القضايا والمعطيات الدينيّة من القيمة المعرفيّة، ومعضلة الشرّ، وعدم نهوض دليلٍ على مدّعى "الإلٰه موجود". وهٰذا ما سنتناوله بشيءٍ من التفصيل.

1 ـ التحليل الفلسفيّ - اللغويّ لنموذج "الإلٰه موجود":

«إنّ الفرضيّة الرائعة يمكن أن يُقضى عليها بواسطة كثرة القيود» [المصدر السابق].

يذهب فلو في بعض بياناته إلى أنّ المعتقد بوجود الإلٰه، دائمًا ما ينتهي به الحال إلى نفي وجوده من خلال الاعتراف بسلسلةٍ لا تنتهي من التحفّظات عن حقيقة الإلٰه، ويقدّم فلو مثالًا على ذٰلك من خلال قصّة سائحَين يصلان إلى بقعةٍ مليئةٍ بالأشجار والزهور المرتّبة، فيقول أحدهما للآخر لا بدّ أنّ البستانيّ يعتني بهٰذا المكان ويهتمّ به، بينما ينكر الآخر أصل وجوده. ويصرّ الأوّل على رأيه وأنّ البستانيّ

(1) «لقد أمضيت مسيرتي الفلسفيّة كلّها حواراتٍ مع مفكّرين يختلفون معي في العديد من الموضوعات، **[ومنها]** ما يتعلّق بوجود الإلٰه. لقد استغرق النقاش في هٰذه الموضوعات أكثر من نصف قرنٍ من حياتي الفكريّة» [م. س، هناك إلٰهٌ، ص 93].

ذاك غير محسوسٍ، لا مرئيٍّ ولا ملموسٍ، فيحتج عليه المنكر قائلًا: ماذا تبقّى من زعمك؟ وما الفرق بين هٰذا البستانيّ الّذي تدّعي وبين بستانيٍّ تتوهّمه وهو في الواقع غير موجودٍ أصلًا؟

ومغزى هٰذا المثال أنّ الإنسان يتصوّر وجود الإلٰه ثمّ يحيط ذٰلك التصوّر بسورٍ لا ينتهي من التحفّظات كالقول بأنّه غير محسوسٍ وإلخ. ومآل ذٰلك إلى نفي القيمة المعرفيّة للنموذج القائل "الله موجودٌ"، فإنّه لا فرق بين تلك الدعوى مع قيودها وبين إلٰهٍ غير موجودٍ.

وقد نُقل [على زمانى، سخن گفتن از خدا، ص 443 و444] عن أنطوني فلو القول بأنّ العبارات الّتي يمكن التحقّق منها باستخدام مناهج العلوم الطبيعيّة، هي وحدها الّتي لها معنًى. و من الواضح أنّه بذٰلك منجذبٌ إلى مبدإ التحقّق في الوضعيّة المنطقيّة[1]، من هنا يظهرُ موقفه من القضايا الدينيّة واللاهوتيّة.

من جهةٍ أخرى، يدّعي فلو أنّ على المتكلّمين ومن هم ضدّ المتكلّمين أن يبدؤوا بتحليل مفهوم الإلٰه قبل كلّ شيءٍ؛ لذا يناقش ويسأل عن تعريف الإلٰه.

لا يخفى أنّ التعريف – بلحاظ كونه كاشفًا عن المجهول التصوّريّ – أمرٌ ضروريٌّ في موضوعٍ يراد الحكم عليه، فما لم نتصوّر معنى الكتاب لا يمكن أن نحكم عليه بأنّه موجودٌ، وكذٰلك الأمر بالنسبة إلى الإلٰه ما لم يكن لدينا تصوّرٌ متماسكٌ وقابلٌ للتطبيق عنه، لا يمكن طرح السؤال عن وجوده أو عدمه. وقد عرفت أنّ الإلٰه الّذي تدّعيه الديانات السماويّة مجرّدٌ عن صفات عالمنا، وبالتالي

(1) لٰكن فلو أنكر تبنّي ذٰلك في كتاب "هناك إلٰهٌ"، وادّعى أنّه توسّل هٰذا الأسلوب بغية إقامة الحوار بين (الوضعيّة المنطقيّة) و(الدين المسيحيّ). [انظر: م. س، هناك إلٰهٌ، ص 62]

كيف يمكن أن نتصوّر شيئًا لا هو بجسمٍ ولا في زمانٍ أو مكانٍ؟ إنّ فكرة الإلٰه هٰذه لا معنى لها ولا تصوّر عنها، فكيف يمكن تطبيق التعبيرات الإيجابيّة والسلبيّة على اسمٍ لا معنى له! إنّ ذٰلك أشبه ما يكون بالحكم على المجهول التصوّريّ[1].

إذن، السبب الأوّل في إلحاده كان يتمثّل بأنّ المعطيات الدينيّة لا قيمة معرفيّةً لها، بل غير قابلةٍ للتصديق، وأنّ مفهوم الإلٰه هو بمثابة اسمٍ فارغٍ من المعنى، بالتالي لا يمكن الحكم عليه بأنّه موجودٌ.

2 ـ معضلة الشرّ

«مشكلة الشرّ كانت بالنسبة لي دحضًا حاسمًا لوجود إلٰهٍ كامل القدرة» [م.س، هناك إلٰه، ص 59].

تعدّ "مشكلة الشرّ" من أبرز الأسباب الفلسفيّة القديمة[2] الّتي شكلت الأرضيّة المناسبة للأسئلة والشبهات حول "الإلٰه وأصل وجوده وتدبيره للكون" إلى حدٍّ دفعت البعض لإنكار وجود الإلٰه وصفاته المطلقة كالعلم والقدرة، من هنا شمّر الفلاسفة والمتكلّمون المسلمون عن ساعد البحث، وأشبعوا هٰذه المسألة تفنيدًا وتحقيقًا.

وروح هٰذه الفكرة أنّنا نجد في الواقع الخارجيّ جميع أنواع الشرور والكوارث الإنسانيّة من قبيل القتل والنهب والجرائم، وكذٰلك الكوارث الطبيعيّة من قبيل الزلازل و البراكين وغيرها، ولو كان هٰذا الكون من صنع إلٰهٍ مطلقٍ من ناحية

(1) قال: «أن تقول بأنّ هناك شخصًا بلا جسدٍ يشبه كثيرًا قولك: هناك شخصٌ ما ليس موجودًا هناك» [هناك إلٰهٌ، ص 203].

(2) يُراجع بهٰذا الصدد كتاب "مشكلة الشرّ ووجود الله: الردّ على أبرز شبهةٍ من شبهات الملاحدة" لسامي عامري، ص 18.

الصفات الكماليّة كما يدّعي الإلٰهيّون، للزم أن يكون العالَم منزّهًا عن تلك الشرور وخاليًا من تلك النقائص، وهٰذا خلفُ ما نجده، فاللازم – أي أن يكون الكون منزّهًا عن الشرور – باطلٌ، فالملزوم – أي أن يكون هٰذا الكون من صنع إلٰهٍ مطلق الصفات الكماليّة – مثله في البطلان.

لقد بنى أنطوني فلو قناعته الإلحاديّة بادئ الأمر على مشكلة الشرّ، حيث كانت بالنسبة له دحضًا حاسمًا لإثبات وجود إلٰهٍ كامل الخير والقدرة، قال: «إذا كنّا ندّعي بأنّ الإلٰه يحبّنا، فإنّ علينا أن نتساءل عن الظواهر الّتي يستبعدها هٰذا الادّعاء. ومن الواضح أنّ الألم والمعاناة تمثّل تحدّيًا لهٰذا الادّعاء» [فلو، هناك إلٰهٌ، ص 61].

مع الالتفات إلى هٰذه العبارة، تجدر الإشارة إلى أنّ فلو لم يقدّم معضلة الشرّ بطرزها القديم، بل حاول أن يشيّدها وفق مبناه في "التحليل اللغويّ"[1]. حيث يذهب إلى أنّ النموذج يكتسب قيمته المعرفيّة عندما يكون متّسقًا مع القضايا الأخرى الثابتة، ففي مقالته "اللاهوت والتكذيب" يقول: "إنّ قبول ادّعاءٍ ما مرهونٌ باستبعاد قضايا أخرى؛ فدعوى كرويّة الأرض تستبعد إمكانيّة أن تكون مسطّحةً، وكذٰلك ادّعاؤنا بوجود إلٰهٍ يحبّنا، فإنّه يستدعي استبعاد بعض الظواهر كالكوارث الإنسانيّة والطبيعيّة، ومن الواضح أنّ الكوارث تمثّل تحدّيًا لهٰذا الادّعاء، من هنا إنّ القول بوجود إلٰهٍ بتلك الصفات لا يمكن أن يكون متّسقًا مع وجود الشرور. وهٰكذا يصبح هٰذا الادّعاء فارغًا لا قيمة معرفيّةً له"[فلو، اللاهوت والتكذيب].

إذن، يتّضح ممّا تقدّم أنّ السبب الثاني في إلحاد أنطوني فلو هو التمسّك

---

(1) تعدّ الفلسفة وفقًا لهٰذا المنهج عبارةً عن تحليلٍ للّغة، ويرى أتباعه أنّ معظم المشكلات الفلسفيّة تنشأ عن عدم فهم منطق لغتنا، من خلال طرح أسئلةٍ لا يعتبرها خاطئةً فحسب، بل لا معنى لها من الأصل. ويعدّ الفيلسوف النمساويّ لودفيغ فتغنشتيان (Ludwig Wittgenstein) (1889 – 1951) من رواد هٰذا الاتّجاه. [انظر: اللغة والمعنى عند فتجنشتين، السمهوريّ، المجلّة الأردنيّة للعلوم الاجتماعيّة، المجلّد 9، العدد 3، 2016].

بمعضلة الشرّ وتقديمها بقالب التحليل اللغويّ.

3ـ نحو اللاأدريّة: عبء الإثبات على عاتق المؤمنين، ولا دليل على الإثبات!

«تقديم الدليل هو مسؤوليّة المدّعي وليس المنكر» [فلو، هناك إلهٌ، ص 97].

كانت هٰذه المقولة نتيجة مناظرة فلو ورفاقه الملحدين مع عددٍ من اللاهوتيّين في تكساس، إذ أصرّ الطرف المقابل على أنّ الاعتقاد بالإله أمرٌ أساسيٌّ لا حاجة لتقديم الدليل عليه، وهٰذا ما يعني أنّ الموحّدين لا يقع على عاتقهم تقديم الحجّة على صحّة دعواهم، في المقابل ذهب الطرف الملحد إلى أنّه على المعتقدين بالإله أن يقدّموا الدليل والحجّة انطلاقًا من المبدإ القانونيّ القائل: الحجّة على المدّعي دون المنكر.

بعد تلك المناظرة بمدّةٍ طوّر فلو وجهة نظره فيما يرتبط بـ "مفهوم الإله" حيث ذهب إلى أنّه من الممكن أن يكوِّنَ الإنسانُ تصوّرًا معيّنًا عن الإله دون أن يؤمن به [فلو، هناك إله، ص 98]؛ ذٰلك لعدم نهوض الدليل الكافي على وجوده.

من هنا نسأل: ما الأدلّة على "وجود الإله" الّتي تطرّق لها أنطوني فلو؟ وما وجهة نظره تجاهها؟

الدليل (1): الحجّة الكونيّة

أجرى فلو مناظرةً مع تيري ميثي (Terry Miethe)[1] قدّم الأخير فيها صياغةً لـ (الحجّة الكونيّة) المبنية على المقدّمات التالية:

بعض الكائنات المتغيرة بنحوٍ محدودٍ، موجودةٌ والوجود الحاضر لكلّ كائنٍ متغيّر بنحوٍ

(1) فيلسوفٌ مسيحيٌّ إنجليزيٌّ، عمل في مركز دراسات أكسفورد.

محدودٍ، ناتجٌ عن آخر لا يمكن أن يكون هناك تسلسلٌ لا نهائيٌّ لأسباب الكائنات؛ لأنّه لن يكون سببٌ لوجود أيّ شيءٍ، والنتيجة هي ضرورة وجود سببٍ أوّلٍ.

وقد رفض أنطوني فلو هٰذه الحجّة انطلاقًا من أنّ الأسباب الفاعلة في الكون قد تكون فاعلةً بذاتها دون حاجةٍ لفاعلٍ أوّلٍ، خصوصًا أنّه في هٰذه الفترة لم يكن معتقدًا بـ "الانفجار الكبير"، بل كان يعتقد بالوجود المستمرّ لهٰذا الكون. [فلو، هناك إله، ص 99 و100]

الدليل (2): التصميم الذكيّ

تقوم حجّة التصميم – الّتي نقلها وليام لين كريج (William Lane Craig) في مناظرته مع فلو عام 1998 – على أساس مقدّمتين:

الأولى حسّيّةٌ مفادها أنّنا نعيش في عالمٍ بديعٍ فيه نظامٌ معقّدٌ منسجمٌ، سواءٌ أكان في الإنسان نفسه أم في عالم الطبيعة.

والثانية عقليّةٌ مغزاها أنّ نظامًا معقّدًا كهٰذا لا يعقل أن يكون اتّفاقيًّا ناشئًا من صدفةٍ عمياء.

والنتيجة الّتي يُنتهى إليها أنّ أصل الكون المعقّد يمكن تفسيره بأفضل نحوٍ من خلال وجود عقلٍ ذكيٍّ يطلقون عليه في الطبيعيّات اسم "المصمّم الذكيّ" وفي الأديان "الإلٰه".

إلّا أنّ فلو رفض هٰذه الحجّة معلّقًا: «إنّ معرفتنا عن الكون يجب أن تتوقّف عند الانفجار الكبير، والّذي ينبغي رؤيته على أنّه الحقيقة النهائيّة (Ultimate

fact)[1]. أمّا ما يتعلّق بحجّة التصميم، فأشرت إلى أنّه حتّى أعظم الكائنات المعقّدة في الكون – البشر – هي نتاج قوًى فيزيائيّةٍ وميكانيكيّةٍ» [فلو، هناك إلهٌ، ص 102]. انطلاقًا من السبب الثالث[2] نخرج بنتيجةٍ مفادها أنّه لم ينهض عند السيّد فلو أيٌّ من الحجج المذكورة، ففضّل أن يكون ملحدًا سلبيًّا[3] أو لاأدريًّا[4]: «قلت بأنّ حجّة التصميم، والحجّة الكونيّة والحجّة الأخلاقيّة الّتي تستخدم لتأكيد وجود الإله حججٌ غير صحيحةٍ» [فلو، هناك إلهٌ، ص 69]. و«حتّى نؤمن بأنّ هناك إلهًا؛ لا بدّ أن تكون لدينا مبرّراتٌ جيّدةٌ للاعتقاد. لٰكن إن لم تكن لدينا مثل هٰذه المبرّرات، فإنّه لا يوجد هناك سببٌ كافٍ للإيمان بوجود الإله، والموقف المعقول الوحيد هو أن تكون ملحدًا سلبيًّا أو لاأدريًّا» [م.س، هناك إله، ص 74 و75].

وفي خاتمة هٰذا المطلب نستطيع القول إنّ أنطوني فلو ناور في رحلته الإلحاديّة في جهتين؛ الأولى: إقامة الدليل على الموقف الإلحاديّ، والثانية: عدم قيام الدليل على الموقف الاعتقاديّ، ونرجئ تحليل هٰذه الأسباب وتقييمها إلى المطلب الثالث، وأمّا في المطلب الثاني فنقف على تتمّة رحلة فلو العقليّة تلك، وكيف استكملها

---

(1) في هذه العبارة يظهر عدول فلو عن رأيه الأوّل فيما يتعلّق بـ "الانفجار الكبير"، فإنّه في الفترة الأولى لم يعتقد به، ولٰكن بعد ذٰلك مال إليه بحجج الفيزيائيّين، أو لا أقلّ أخذه فرضيّةً راجحةً.

(2) السبب الثالث هو "عدم نهوض دليلٍ على وجود الإله".

(3) الإلحاد السلبيّ (Negative atheism): مصطلحٌ يطلق على موقف "الاعتقاد بعدم وجود الإله" دون وجود دليلٍ مباشرٍ على ذٰلك، بل يُكتفى بعدم قيام الدليل على الوجود انطلاقا من مبدإ "أصالة البراءة" و"الحجّة على من ادّعى"، ويطلق على صاحب هٰذا الموقف (الملحد السلبيّ). [فلو، هناك إله، ص 75].

(4) اللاأدرية (Agnosticism): مصطلحٌ يطلق على موقف "عدم الاعتقاد بوجود الإله" وليس "الاعتقاد بالعدم"، ويرى صاحبه أنّ الدلائل المتوفّرة تجعل موقفه صحيحًا، وموقف كلٍّ من المؤمن بوجود الإله والملحد موقفًا خاطئًا، هذا اللاأدريّ الإيجابيّ، ويوجد قسيمٌ له هو "اللاأدريّ السلبيّ". [راجع: ملحدون محدثون ومعاصرون، ص 93 و94].

باتّجاه الاعتقاد أو الميل نحوه. من خلال المناورة على الجهتين المذكورتين، ولٰكن بشكلٍ معكوسٍ هٰذه المرّة، بحيث يردّ أسباب الإلحاد، ويعزّز أدلّة الاعتقاد.

المطلب الثاني: أسباب اعتقاده بوجود الإلٰه

«الآن بتّ أقبل بوجود إلٰه» [المصدر السابق، ص 105 و106].

1 ـ هدمُ أسباب الإلحاد

أ ـ معضلة الشرّ

عرفنا في المطلب السابق أنّ مشكلة الشرّ كانت واحدًا من الأسباب الّتي تمسّك بها أنطوني فلو في موقفه الإلحاديّ، ولٰكنّه بعد هٰذا الشوط عاد ليهدم هٰذا السبب، وأطلق على التمسك به (عناد صغار السنّ). فمن وجهة نظرٍ فلسفيّةٍ لا يوجد علاقةٌ أو ملازمةٌ بين القول بوجود إلٰه، ووجود النقائص والشرور في العالم؛ ولذا الاعتقاد بوجود إلٰهٍ غير مرهونٍ بحلّ هٰذه الإشكاليّة. نعم، لا بدّ من تفسيرها وتقديم فذلكةٍ منطقيّةٍ لها، وقد أشرنا في طيّات البحث أنّ لهٰذه المشكلة حلولًا كثيرةً في الفلسفة والكلام. وكيف كان، ذكر فلو تفسيرين: الأوّل أن نعتقد بإلٰه أرسطو الّذي لا يتدخّل في العالم إلّا في بعض القضايا المبدئيّة كإقامة العدل، والثاني: يقوم على أساس أنّ الشر ممكنٌ ما دام الإنسان حرّ التصرّف والإرادة. [المصدر السابق، ص 216]

إذن، يقضي فلو على هٰذا السبب من خلال نفي الملازمة العقليّة بين "وجود الشرّ" و"عدم وجود إلٰهٍ".

ب ـ قيمة المعطيات الدينيّة ومفهوم الإلٰه

عرفتَ في المطلب السابق أنّ من الأسباب الدافعة نحو الإلحاد خلوّ القضايا الدينيّة – الّتي منها نموذج "الإلٰه موجودٌ" – من المعنى، وبالتالي عدم اتّصافها بالصدق والكذب، ولٰكنّ فلو أنكر تبنّيه موقفًا تجاه اللغة الدينيّة، والنماذج الّتي يقدّمها الكلام المسيحيّ أو غيره بصورةٍ عامّةٍ، وهٰذا لا يعني أنّه أصبح معتقدًا بقيمةٍ معرفيّةٍ للقضايا الدينيّة. قال: «ولٰكن في الحقيقة لم أكوّن قطّ أطروحةً شاملةً عن وجود اللغة الدينيّة ككلٍّ أو عدم وجودها. لقد كان هدفي الأساس في بحث (اللاهوت والتكذيب) وضع بعض (البهارات) على الحوار الدائر بين الوضعيّة المنطقيّة والدين المسيحيّ، وإقامة حوارٍ بين الإيمان بالإلٰه وعدم الإيمان به على أساسٍ مختلفٍ أكثر فائدةً» [المصدر السابق، ص 62].

وأمّا فيما يتعلّق بوجهة نظره تجاه "مفهوم الإلٰه"، وتكوين معنًى متماسكٍ عنه، فقد صرّح بأنّه طوّر موقفه هٰذا من خلال بحثه العلميّ، ولٰكنّه في تلك الفترة واجه مشكلةً أخرى وهي عدم قيام الدليل على وجوده؛ قال: «أعدت تأكيد مجموعةٍ من مواقفي الّتي طوّرتها خلال سنواتٍ عن انسجام تصوّر الإلٰه وفرضيّة الإلحاد» [المصدر السابق، ص 98]. وقد صرّح في خواتيم كتاب (هناك إلٰهٌ): «على أقلّ تقديرٍ، بيّنت دراسات تريسي[1] وليفتو[2] أنّ فكرة الروح الحاضرة في كلّ زمانٍ ومكانٍ متماسكةٌ في جوهرها، إذا ما نظرنا إلى هٰذه الروح على أنّها فاعلٌ خارج الزمان والمكان (...). والسؤال عمّا إذا كانت مثل هٰذه الروح موجودةً (...) يقع في صلب حجج وجود الإلٰه» [المصدر السابق، ص 211].

---

(1) توماس تريسي (- 1936 / Thomas Tracy): صاحب كتاب (الإلٰه والفعل والتجسّد) و(الإلٰه الفاعل).

(2) برايان ليفتو (- 1956 / Brian Leftow): بروفسورٌ وأستاذ كرسيّ نولوث (**CHAIR NOLLOTH**) في جامعة أكسفورد.

وهٰكذا، يكون فلو قد وضّح وجهة نظره الجديدة من "القيمة المعرفيّة للمعطيات الدينيّة"، و"تماسك مفهوم الإلٰه" تبعًا لما فسّره (تريسي) و(ليفتو).

وبناءً على ما تقدّم، وبالإضافة إلى الردّ على معضلة الشرّ، بات من الممكن وبكلّ وضوحٍ أن يتّصف الإلٰه بالرحمة، دون أن يرد محذور الاتّساق المعرفيّ مع باقي القضايا الثابتة، فالإلٰه يحبّنا، ولٰكن – كما قال تيرسي – حبّه يظهر بطريقةٍ تكوينيّةٍ في أفعاله. من هنا خرج فلو من هٰذا البحث قائلًا: «هٰذا الفهم للأفعال الإلٰهيّة يمكن أن يساعدنا في إعطاء محتوًى لوصفنا للإلٰه بأنّه محبٌّ» [المصدر السابق، ص 206].

حتّى هٰذه النقطة من البحث تراجع فلو عن الأسباب الّتي دفعته إلى الإلحاد بمعنى "الاعتقاد بعدم وجود إلٰهٍ"، ورست سفينة عقله على موقفٍ "لاأدريٍّ"، فهل عثر على دليلٍ يقوده من حالة الشكّ تلك إلى الاعتقاد، أم لا؟

2ـ فلو ينقاد إلى الاعتقاد، والقائد هو الدليل!

بيّنّا فيما تقدّم اعتقاد فلو بأنّ عبء إقامة الدليل يقع على عاتق مدّعي الوجود دون المنكر، وانطلاقًا من هٰذا الأصل، تعرّض لبعض الأدلّة الّتي كانت بنظره آنذاك قاصرةً عن الوفاء بالمطلوب، ولٰكن مع مرور العقود وانهدام أسباب الإلحاد، ومع الأخذ بعين الاعتبار منهج قيادة الدليل، حريٌّ بك أيّها القارئ أن تسأل صاحبنا مجدّدًا: هل من دليلٍ إلى الاعتقاد؟

تناول السيّد فلو أدلّةً أو أسبابًا ثلاثةً، فلننظر إلى أين ستؤول به:

أ ـ قوانين الطبيعة

إنّ فلو كان من المنتقدين بحدّةٍ لـ "حجّة التصميم الذكيّ"، ولٰكنّه تراجع عن ذٰلك بعد حينٍ، بل عدّ التصميمَ أكثرَ الحجج دعمًا لوجود الإلٰه، فإنّنا ننطلق من

العالم المحسوس بما فيه من عظمةٍ وإتقانٍ وإحكامٍ، فنستكشف وجود التصميم العظيم، الّذي يحتاج طرًّا إلى مصمّمٍ أعظم.

هٰذا، وإنّ العلوم الطبيعيّة الحديثة في الأحياء والفيزياء والكيمياء قد كشفت عن الكثير من تلك القوانين المتّسقة والمطّردة[1]، ويمكن أن نسأل أنفسنا سؤالًا طفوليًّا: من نفخ روح الحياة في هٰذه القوانين البديعة؟

يستعرض فلو في بعض دراساته الأخيرة آراء العديد من علماء الفيزياء[2] فيما يرتبط بـ"وجود الإلٰه" ويتطرّق إلى بعض اكتشافاتهم العلميّة فيما يتعلّق بالقوانين الفيزيائيّة المطّردة والمترابطة فيما بينها والمحبوكة بشكلٍ معقّدٍ من الناحية الرياضيّة[3]. وبعد أن نقل العديد من وجهات نظر علماء الفيزياء انتهى إلى أنّ أينشتاين (Albert Einstein)[4] اتّفق مع سبينوزا (Baruch Spinoza)[5] في أنّ من يعرف الطبيعة يعرف الإلٰه، لٰكن ليس لأنّ الطبيعة هي الإلٰه، بل لأنّ مواصلة العلم في دراسة الطبيعة تقود إلى الدين. [فلو، هناك إلٰه، ص 137 و138]

هٰذا، ولم يُغفل الحديث عن بعض الفلاسفة الّذين كتبوا حول المصدر

---

(1) أي القوانين الّتي نظّم الكون على أساسها، دون أن يحصل تزاحمٌ أو خللٌ فيها، فإنّ وظيفة العالم هي اكتشاف تلك القوانين وليس إيجادها، فإذا كان اكتشاف تلك القوانين يتطلّب عقلًا عظيمًا كعقل الإنسان، أفلا يحتاج إيجادها إلى عقلٍ أعظم؟!

(2) من قبيل: نيوتن، وأينشتاين، وهيزنبرغ، وبول ديفيز، وجون بولكينج هورن وغيرهم. [راجع: هناك إلٰهٌ، م.س، ص 144].

(3) من قبيل: قانون الجاذبيّة، ونظريّة الكوانتم.

(4) ألبرت آينشتاين (1955 - 1879): عالمٌ فيزيائيٌّ مشهورٌ، وضع النظريّة النسبيّة الخاصّة والعامّة، كان يعتقد بمصدرٍ متعالٍ يسمّيه (العقل الفائق) أو (الروح الفائقة).

(5) فيلسوفٌ شهيرٌ من فلاسفة الغرب في القرن السابع عشر.

الإلٰهيّ لقوانين الطبيعة أمثال فوستر (John Foster)[1] وسوينبرن (Richard Swinburne)[2]، وقد نقل عن الأخير قوله: «لعلّه أكثر سهولةً أن تفترض أنّ هٰذا التناغم نشأ من فعل كيانٍ واحدٍ تسبّب في جعل الأجسام تسلك بهٰذه الطريقة، بدلًا من افتراض أنّ كلّ الأجسام تسلك بطريقةٍ معيّنةٍ بحكم حقيقةٍ عمياء نهائيّةٍ» [فلو، هناك إله، ص 149].

انتهى بحثه حول كاتب قوانين الطبيعة والتصميم، وقد لاحظ – أخيرًا – الربط بين القوانين ووجود عقل الإلٰه؛ قال: «هٰؤلاء العلماء الّذين يشيرون إلى عقل الإلٰه لا يقدّمون مجرّد سلسلةٍ من الحجج أو عمليّة استدلالٍ منطقيّةً، بل بالأحرى هم يقدّمون رؤيةً للواقع تنبثق من قلب تصوّرات العلم الحديث، وتفرض نفسها على العقل الرشيد. وهي الرؤية الّتي أجدها شخصيًّا مقنّعةً وغير قابلةٍ للدحض» [المصدر السابق، ص 150].

الآن باتت حجّة التصميم، تشكّل السبب الأوّل للاعتقاد.

ب ـ التنظيم الغائيّ للحياة

الفكرة المحوريّة الّتي يدور حولها هٰذا السبب هو أنّ هٰذه القوانين المحكمة الّتي تقدّم الحديث عنها قد صُمّمت بنحوٍ توحي بأنّ العالَم كان عالمًا بقدومنا إليه، وبكلمةٍ واحدةٍ: إنّ هٰذه القوانين قد حُبكت بهيئةٍ تؤدّي إلى نشأة الحياة على هٰذا الكوكب، وقد ذهب علماء الطبيعيّات في تفسير ذٰلك مذهبين:

الأوّل: وجود الإلٰه المصمّم.

---

(1) فيلسوفٌ، عمل في جامعة أكسفورد.

(2) أستاذ الفلسفة في جامعة أكسفورد، وله مؤلّفاتٌ عديدةٌ.

الثاني: تعدّد الأكوان[1].

انطلاقًا من المقدّمات التالية يميل فلو إلى المذهب الأوّل:

1. ثمّة حقيقةٌ تؤكّد بأنّنا نعيش في كونٍ فيه قوانين محدّدةٌ وثوابت فيزيائيّةٌ.
2. أنّ القوانين تفسّر بقاء الحياة، ولٰكنّها لا تجيب عن السؤال حول السبب الكامن وراء نشأتها.
3. أنّ فرضيّة الأكوان المتعدّدة هي فرضيّةٌ تخمينيّةٌ، وعلى فرض صحّتها، فإنّه لا بدّ أن تتّبع قوانين قبليّةً كما يقرّر بعض علماء الفيزياء[2]. من هنا نرجع إلى المربّع الأوّل في السؤال: من أين جاءت هٰذه القوانين القبليّة؟! لذٰلك يبقى التفسير الوحيد هنا هو "العقل الإلٰهيّ" على حدّ تعبير فلو.

ج ـ وجود الكون

حينما نتحدّث عن وجود الكون، ستواجهنا مقولاتٌ من نوعين مختلفين: مقولات طبيعيّة، وأخرى فلسفيّة. وأوّل ما يمكن أن يطالعك به بعضُ الطبيعيّين هو اكتشافهم نظريّة التطوّر في علم الأحياء البكتيريّة الّتي تفسّر نشأة المادّة الأولى، ولٰكنّ الواضح أنّهم يتعاملون مع التفاعل الداخليّ للموادّ الكيميائيّة، في حين أنّ ما يسأل عنه الحكيم هو: كيف يمكن لكونٍ ذي مادّةٍ عمياء لا عقل لها أن تُنتج كائناتٍ لها غاياتٌ؟ فكيف يكون شيءٌ ما مسوقًا نحو غايةٍ نهائيّةٍ؟ وكيف

---

(1) الأكوان المتعدّدة أو الكون المتعدّد: فرضيّةٌ تطرح في الفيزياء، مفادها أنّ الانفجار الكبير الّذي ولّد كوننا هو واحدٌ من عددٍ ربّما لا نهائيٍّ من الانفجارات الّتي ولّدت أكوانًا متعدّدةً. [انظر: ديفيز، الجائزة الكونيّة الكبرى، ص 352]

(2) كما نقل ذٰلك عن عالِم الكونيّات والفيزياء الفلكيّة مارتن ريس (Martin Rees). [انظر: م.س، هناك إلٰهٌ، ص 163].

يمكن للمادّة أن تدار بواسطة آليّةٍ رمزيّةٍ؟

وبعد نظرةٍ في آراء علماء الأحياء يخرج فلو بنتيجةٍ أقرّ بها بعضهم[1]: ما زالوا بعيدين جدًّا عن الظفر بجوابٍ محدّدٍ عن هٰذه الأسئلة.

وهٰكذا، فإنّ مرجوحيّة ما نظّر له علماء الأحياء في التطوّر واستبعاده في التفسير وعدّه إجابةً في وادٍ آخر عن السؤال المركزيّ، يفسح المجال لرجحان الفرضيّة الثانية وتقبّلها برحابة عقلٍ، عنيت فرضيّة المصمّم الذكيّ أو الإلٰه اللامتناهي.

قال: «إنّ التفسير المرضي الوحيد لأصل حياةٍ كهٰذه، (موجّهة الغاية، قابلةٍ للتكاثر) كما نرى على الأرض، هو العقل الذكيّ اللامتناهي» [المصدر السابق، ص 179]. وبهٰذا يتمّ السبب الثالث نحو الاعتقاد.

هٰذا، وقبل أن ننتقل إلى النظرة التحليليّة نحصد أهمّ النتائج الّتي انتهى إليها فلو وأقرّ بها:

الأولى: العلوم الطبيعيّة بما هي علومٌ طبيعيّةٌ لا تستطيع تقديم حجّةٍ على وجود الإلٰه، إلّا أنّ الأدلّة الثلاثة المذكورة – قوانين الطبيعة، والتنظيم الغائيّ للحياة، ووجود الكون – لا يمكن تفسيرها إلّا على ضوء ذكاءٍ يفسّر في وقتٍ واحدٍ وجودَه ووجود العالَم. [المصدر السابق، ص 215]

الثانية: يؤكّد فلو أنّ رحلته في اكتشافه للمقدّس، لم تكن رحلة إيمانٍ، بل رحلة عقلٍ. قال: «لقد اتّبعت الحجّة إلى حيث قادتني. وقد قادتني إلى القبول

(1) منهم أستاذ علم الأحياء في جامعة هارفارد أندي نول (Andy knell) والعالم النوويّ جيرالد شرويدر (Gerald Schroeder). [راجع: م. س، هناك إلٰهٌ، ص 178]

بوجود إلٰهٍ ذاتيّ الوجود، لا يتغيّر، غير مادّيٍّ، على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبكلّ شيءٍ عليمٌ» [المصدر السابق، ص 215].

تراجعَ عن أسباب الإلحاد، وانساقَ وراء أدلّة الاعتقاد، وبهٰذه النتائج، يَختم أنطوني فلو غوصه في الأدلّة ويُنهي رحلتَه العقليّة، ويَطوي سفرًا دام قرابة سبعين عامًا، ويُسدِل الستار عن أسطورةٍ عنوانها: «يميل حيثما مال الدليل؛ من الإلحاد إلى الاعتقاد».

- فما القيمة المنطقيّة والمعرفيّة لأسباب الإلحاد والاعتقاد عنده؟ هل يمكن الاستناد إليها في مقام اتّخاذ موقفٍ فكريٍّ عقديٍّ أم لا؟
- وهل الاستناد إلى أسبابٍ مستقاةٍ من العلوم الطبيعيّة – كما عرفنا – يخدش في علميّة البحث؟ وهل يؤثّر ذٰلك على النتائج الّتي انتهى إليها؟
- هل يوجد انسجامٌ بين الأدلّة والنتائج الّتي خلص إليها في كلا المرحلتين؟ بحيث كانت النتيجة مساويةً للدليل، أم أنّ أحدهما أعمّ من الآخر؟
- هل صار أنطوني فلو متديّنًا أم ربوبيًّا فحسب؟
- ما علاقة ما وصل إليه فلو بـ "اللاهوت الطبيعيّ" وهل يمكن تصنيف أدلّته وعقيدته بهٰذا الاتّجاه؟

هٰذا ما سنتعرّف إليه بشكلٍ موجزٍ في المطلب الأخير.

المطلب الثالث: نظرةٌ تحليليّةٌ في دليليّة الأدلّة

ذكرنا في صدر هٰذه القراءة أمرًا أُسّس على قضيّةٍ معياريّةٍ بُني عليها الفكر البشريّ، أعني ضرورة وجود دليل للتصديق في أيّ دعوى ترد عقولنا، فكيف بك

إذا كانت تلك الدعوى أو ذٰلك الموقف يشكّل إجابةً عن سؤالٍ[1] محوريٍّ يمسّ عمق عمق العقل الإنسانيّ وتضرب جذوره في تاريخ الفكر البشريّ، وما انفكّ الحكماء يتحرّون عنه منذ تلك العصور القديمة، ولسنا نبالغ إن قلنا إنّه لأجل تقديم إجابةٍ عن مثل هٰذا السؤال بُعث الأنبياء، وكانت المعجزات والرسالات!

ولٰكن أترقّى فأقول: إنّ مجرّد وجود سببٍ أو دافعٍ لا يكفي في اتّخاذ موقفٍ كونيٍّ أو تبنّي رؤيةٍ عن الكون، بل لا بدّ أن يُنظر في قيمة ذٰلك السبب ويُتقصّى عن كفايته وقيمته، فهل ينهض بذٰلك الموقف وتلك الرؤية؟ أم أنّه قاصرٌ عن ذٰلك؟

وهٰذا الترقّي في المقام ليس الغرض منه مجرّد تطويل الكلام، بل هو مقتضى الموازين المذكورة في علم المنطق، وخصوصًا في المباحث المرتبطة بصناعة البرهان والمغالطة.

وهنا لا بدّ من التنبيه على أمرٍ مهمٍّ، هو التفريق بين السبب في واقعه، والسبب كما يراه الباحث، فقد يكون السبب كافيًا في واقعه، ويراه الباحث قاصرًا لشبهةٍ معيّنةٍ، وقد يحصل العكس، بأن يكون السّبب ناقصًا في واقعه ويراه الباحث كاملًا لمانعٍ ما. من هنا، وضعت ضوابط وقوانين عامّةٌ في علم المنطق لتمييز الأسباب الكافية في واقعها من غيرها، لا كما يراها الباحث فحسب. وسنحاول أن نحاكم تلك الأسباب والدوافع المذكورة في المطلبين المتقدّمين مراعين في ذٰلك القوانين المنطقيّة، والموازين المعرفيّة.

---

(1) نعني الأسئلة المرتبطة بمحاور الرؤية الكونيّة: الإلٰه، الرسالات، الجزاء.

1 ـ نظرةٌ تحليليّةٌ في أسباب الإلحاد

أ ـ القيمة المعرفيّة للاستناد إلى خلوّ المسائل الدينيّة من المعنى

لا يرجع إثبات وجود الإلٰه وباقي محاور الرؤية الكونيّة إلى اللغة الدينيّة بما هي لغةٌ دينيّةٌ وإلّا لزمت شائبة الدور المحال كما هو واضحٌ، وإنّما يرجع إلى البراهين العقليّة [الطباطبائيّ، أصول الفلسفة والمنهج الواقعيّ، ج 2، المقالة الرابعة عشرة، ص 527]، فإذا ورد ذٰلك في النصوص الدينيّة، فيكون الأخذ به بلحاظ كونه دليلًا برهانيًّا إن تضمّن استدلالًا، وبلحاظ كونه نتيجةً إن تضمّن نتيجةً قاد الدليلُ العقليّ إليها في رتبةٍ سابقةٍ. فإنّ البرهان ينتج يقينًا بشرائطه المنصوصة في كتاب البرهان من علم المنطق.

وبالتالي سواءٌ ثبتت قيمةٌ معرفيّةٌ للّغة الدينيّة أم لم تثبت، فإنّ ذٰلك لا يخدش في نموذج "الإلٰه موجودٌ".

من هنا يُعلم، أنّ هٰذا السبب ليس بشيءٍ حتّى يُتمسّك به لتبرير موقفٍ إلحاديٍّ.

ب ـ القيمة المعرفيّة للاستناد إلى خلوّ مفهوم الإلٰه من المعنى[1]

إنّ الاستناد إلى مثل هٰذا السبب متوقّفٌ على إثبات أنّ كلّ ما لا تناله الحواسّ لا وجود له ولا تقرّر، بمعنى أنّ كلّ ما يكون مجرّدًا عن مقولة المتى والأين والكيف... هو في الحقيقة عدمٌ، لا شيئيّة له. ولا محصّل لهٰذه المسألة، بل قام الدليل العقليّ على خلافها[2].

---

(1) لقد فنّد هٰذه الشبهة العلّامة الطباطبائيّ في أصول الفلسفة، والعلّامة مطهريّ في شرح هٰذا الكتاب، وأجابوا عنها إجابةً وافيةً. [انظر: الطباطبائيّ، أصول الفلسفة، ج 2، ص 673 تحت عنوان: "كيف نتصوّر الله؟"].

(2) ذهب بعض الماديّين إلى أنّ الموجود هو المحسوس بالحواسّ الظاهريّة فحسب، وحاولوا إثبات ماديّة الروح من خلال الاستفادة من علومٍ مختلفةٍ كعلم الفيزياء والنفس والفيزيولوجيا، وقد ردّت هٰذه الدعوى واستدلّ على

ومن جهة أخرى أنّ مجرّد العجز عن تخيّل فكرةٍ ما لا يلازمه انتفاء وجودها، بل إنّ الانتقال من العجز عن التخيّل إلى الحكم بعدم الوجود هو بالدقّة تحديدٌ للواقع على طبق وعاء الخيال، وهٰذا أمرٌ بعيد النيل، لا دليل عليه، بل البرهان العقليّ يقضي بوجود إلٰهٍ مجرّدٍ عارٍ عن الوصف الطبيعيّ، وهٰذا ما يحتّم حقيقةً مفادها أنّ وعاء الواقع أوسع من وعاء التخيّل. وبالتالي تكون دعوى تحديد الواقع بوعاء الخيال الّتي بُني عليها هٰذا السبب، هي مجرّد قضيّةٍ وهميّةٍ لا قيمة لها من الناحية المعرفيّة والمنطقيّة. وبعد ذٰلك يتّضح أنّه لا مبرّر علميًّا للاستناد إليها في بناء موقفٍ إلحاديٍّ.

نعم، لا ننكر صعوبة تصوّر المفاهيم المرتبطة بما بعد الطبيعة، وإن كان التصديق بها بعد التصوّر الصحيح أمرًا سهل المؤونة. قال العلّامة: "المفاهيم لها حدّها والذهن يألف المفاهيم الحسّيّة والمادّيّة، ومن هاتين النقطتين يصبح عمل الفكر في قضايا ما بعد الطبيعة عسيرًا جدًّا، فكأنّه يريد أن يضع البحر في كوزٍ. ولا شكّ أنّ معاني الحكمة الإلٰهيّة تتطلّب استعدادًا خاصًّا... إنّ مشكلة ما بعد الطبيعة تتجلّى في مرحلة التصوّر لا التصديق" [الطباطبائيّ، أصول الفلسفة والمنهج الواقعيّ، ج 2، ص 547 و548]

ج ـ القيمة المعرفيّة للاستناد إلى معضلة الشرّ

إنّ المشهد الواقعيّ للعالم يفرض تحليله إلى جزأين، أو قل جانبين: الأوّل هو التناغم والنظم البديع في الطبيعة وقوانينها، والآخر هو وجود الشرور والكوارث الطبيعيّة والبشريّة. من هنا إنّ الاقتصار على جانبٍ دون آخر، هو في الحقيقة

خلافها في مباحث نظريّة المعرفة. [يراجع بهذا الصدد: الطباطبائيّ، أصول المعرفة والمنهج الواقعيّ، ج 1، المقالة الثالثة، ص 139]

ترجيحٌ لا مبرّر له، أو تدليسٌ لا يُغتفر.

ثمّ إنّ نفي معلوليّة الكون لإلٰهٍ كامل الصفات انطلاقًا من وجود نقصٍ وشرورٍ في الكون، هو فرع الفراغ من أنّ وجود عالمٍ منزّهٍ عن تلك الشرور أمرٌ ممكنٌ عقلًا، كما أنّه فرع قابليّة الطبيعة واستعدادها لمثله.

فماذا لو كان وجود عالمٍ بتلك الهيئة المذكورة أمرًا محالًا في ذاته؟ وماذا لو كانت الشرور أمورًا عدميّةً لا جاعل أو فاعل لها؟ وماذا لو كانت لازمةً للخيرات غير منفكّةٍ عنها؟ [الطباطبائي، أصول الفلسفة والمنهج الواقعيّ، ج 2، ص 585]

إذا كان وجود عالمٍ منزّهٍ عن المآثم أمرًا ممتنعًا عقلًا، وكانت الشرور ملازمةً للخيرات، فما المسوّغ بَعْدُ للانتقال منه إلى عدم وجود إلٰهٍ كامل الصفات، أو منه إلى نفي معلوليّة الكون له؟

لعلّ المسوّغ الوحيد في المقام – بناءً على ما ذُكر – هو الانفعال العاطفيّ، وحكمٌ وهميٌّ[1]، ومن المعلوم منطقيًّا عدم صحّة الاستناد إلى الوهميّات في اتّخاذ موقفٍ فكريٍّ. من هنا، تتّضح القيمة المعرفيّة لاتّخاذ معضلة الشرّ سببًا لنفي الحكمة البالغة، أو سببًا للإلحاد!

د ـ القيمة المعرفيّة للاستناد إلى عدم العثور على دليلٍ

كما أنّ القول "بوجود الإلٰه" دعوى، كذٰلك القول "بعدم وجود إلٰهٍ"، وكلٌّ منهما إمّا أن يكون بيّنًا أو لا، فيحتاج إلى دليلٍ للتصديق به، وبناءً على الثاني، غاية ما يمكن أن يبرّره عدم وجدان الدليل هو الموقف (اللاأدريّ) بشرط أن يجتمع مع

(1) «إنّه من الوهم أن نتصوّر وجود المادّة مع عدم قبولها للتضاد والتزاحم» [الطباطبائيّ، أصول الفلسفة، ج 2، ص 585].

عدم العثور على دليلٍ للدعوى الثانية.

وأمّا أنّه يؤدّي إلى الإلحاد[1] رأسًا من خلال التمسّك بالمبدإ القائل "الحجّة على من ادّعى"، ففيه أنّنا لا نسلّم بجريان هٰذا المبدإ في المباحث الوجوديّة؛ لأنّ الأصل فيها الإمكان بمعنى تساوي نسبة الصدق والكذب، فبالتالي يكون ترجيح أيٍّ من الدعويين والأخذ بأحدهما على نحو الاستقلال محتاجًا إلى دليلٍ برأسه.

وبعد ذٰلك، لو تنزّلنا وسلّمنا بجريان مبدإ "الحجّة على من ادّعى" في المقام، قلنا كلا القولين (دعوى) كما اتّضح، وبالتالي الأخذ بأيٍّ منهما يحتاج إلى حجّةٍ.

وهٰكذا لو تمسّك الملحد، بعدم وجدان الدليل لتبرير موقفه الإلحاديّ، كان ذٰلك منه وقوعًا في فخّ المغالطة أو ما يشبهها؛ إذ إنّ دليله أجنبيٌّ عن المدّعى أو قل: أخصّ منه؛ لأنّ مجرّد عدم وجدان الدليل قد يؤيّد فكرة الاعتقاد بالعدم (الإلحاد)، وقد يؤيّد فكرة عدم الاعتقاد (اللاأدريّة) بالشرط المتقدّم.

الأسباب المذكورة بالنسبة إلى النتيجة

بعد إلقاء نظرةٍ تحليليّةٍ خاطفةٍ على الأسباب المذكورة في المطلب الأوّل، يتّضح أنّها لا تصلح لتكون أدلّةً للقيادة نحو الإلحاد، ولا يصحّ الاستناد إليها في اتّخاذ موقفٍ عن الكون؛ لما عرفناه من أنّها ليست بيقينيّاتٍ، وإنّما بعضها من الوهميّات، وبعضها لم يخلُ من المغالطة أو شبهها، كما عرفتَ.

---

(1) الإلحاد بمعنى "الاعتقاد بعدم وجود إلٰهٍ" وليس "عدم الاعتقاد بوجود إلٰهٍ".

2 ـ نظرةٌ تحليليّةٌ في أسباب الاعتقاد

أ ـ القيمة المعرفيّة للاستناد إلى الأدلّة المستقاة من العلوم الطبيعيّة

تأخذ الاستفادة من العلوم الطبيعيّة في هٰذا الإطار شكلين مختلفَين:

الأوّل: أن يكون المقصود هو توفير مقدّمةٍ حسّيّةٍ من قبل العلوم الطبيعيّة، ومن ثمّ ضمّها إلى مقدّمتين عقليّتين؛ لينتج منها إثبات وجود الإله.

المقدّمة الأولى (حسّيّةٌ): يقع تحت نظرنا عالمٌ بديعٌ ونظامٌ عظيمٌ وقوانين منسجمةٌ.

المقدّمة الثانية (عقليّةٌ): العالم البديع والنظام العظيم والقوانين المنسجمة لا تكون اتّفاقيّةً.

المقدّمة الثالثة (عقليّةٌ): هٰذا العالم إمّا أن ينتهي إلى مبدإٍ وهو الإله، أو أن يتسلسل إلى ما لا نهاية، والتالي باطلٌ، فيتعيّن الأوّل.

ولا نقاش لنا في صوابيّة هٰذا النحو من الاستفادة من العلوم الطبيعيّة في تنقيح المقدّمة الحسّيّة، وتعزيزها بالاكتشافات العصريّة.

الثاني: أنّ العلوم الطبيعيّة، وبالخصوص الحقول النظريّة منها تُثبت وجود الإله بمعزلٍ عن أيّ شيءٍ غير العلم، وفي هٰذه الحالة لا بدّ أن نميّز بين لحاظين:

1. أن نلحظ العلم الطبيعيّ بما هو علمٌ طبيعيٌّ، وبالتالي بما هو قضايا تجريبيّةٌ أو حسّيّةٌ، فإنّه قاصرٌ عن البتّ في أمورٍ ميتافيزيقيّةٍ ما وراء الطبيعة أو ما قبلها على الأصحّ، سواء كان ذٰلك البتّ بنحو الإثبات أو النفي. ونكتة ذٰلك هي المنهج المتّبع في هٰذه العلوم، أعني المنهج التجريبيّ، والمرجع في ذٰلك ما نُقّح في أبحاث نظريّة المعرفة. ولعلّ أنطوني فلو كان ناظرًا إلى ما ذكرناه في قوله: «العلم ـ كعلمٍ ـ لا يمكن أن يقدّم حجّةً على وجود الإله» [م. س، هناك إلهٌ، ص 215].

2. أن نلحظ العلوم الطبيعيّة بما هي حاكيةٌ عن نظامٍ محبوكٍ وقوانين مطّردةٍ، بحيث لا يكون هٰذا النظام متكاملًا إلّا مع فرض وجود قوّةٍ حاكمةٍ، فيكون العلم مشيرًا إلى وجود العقل الذكيّ ومرشدًا إليه، ويقدّم العلم بهٰذا اللحاظ دلالةً على ما وراء الطبيعة.

ولنأخذ مثالًا توضيحيًّا على ذٰلك أحجيّة تشكيل الصور (Puzzle) من خلال تركيب قطعٍ صغيرةٍ، فإنّ كلّ قطعةٍ منها وإن كانت لا تعدّ دليلًا منطقيًّا على وجود قطعةٍ أخرى ملاصقةٍ، ولٰكنّها تشير إلى أنّ تكامل الصورة الكبيرة منوطٌ بوجود القطعة (أ) دون القطعة (ب) على سبيل المثال.

وهٰكذا بالنسبة إلى المورد الّذي نحن فيه، فإنّ وجود القوانين المطّردة والنظام المتناغم (الوجود ككلٍّ) هو بمثابة الصورة الكبيرة، والاكتشافات في العلوم الطبيعيّة هي بمثابة القطع الصغيرة المشيرة.

إلّا أنّ غاية ما تكشف عنه قراءة الطبيعة باللحاظ الثاني المذكور هو مقهوريّة الكون لقوّةٍ ماورائيّةٍ، ولٰكنّها لا تثبت صفاتها؛ واحدةً أم كثيرةً؟ مجرّدةً أم مادّيّةً؟ قديمةً أم حادثةً؟ مدبّرةً أم غير مدبّرةٍ؟ بسيطةً أم مركّبةً؟ إلخ.

ولٰكنّ فلو قد ذهب إلى أبعد من ذٰلك في خواتيم بحثه، حيث اعتقد بوجود إلٰه، ذاتيّ الوجود، لا يتغيّر، غير مادّيٍّ، على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبكلّ شيءٍ عليمٌ. مع أنّه قال: «اكتشافي للألوهيّة مبنيٌّ على أساسٍ طبيعيٍّ صرفٍ» [المصدر السابق، ص127]! فهل قال أكثرَ ممّا يعرف عندما تعدّى الأدلّة الطبيعيّة بالاعتقاد بالصفات المذكورة؟ أم أنّه أخذ من الكلام المسيحيّ بعض النتائج؟

لا هٰذا، ولا ذاك، بل يمكن تفسير كلّ مفردةٍ من تلك الاعتقادات من خلال النقاط التالية:

1. الأدلّة الطبيعيّة كانت سببًا في اعتقاده بـ (وجود الإلٰه).

2. وتأييده لتقرير سوينبيرن (Swinburne)[1] للحجّة الكونيّة والتسلسل [م. س، هناك إله، ص 198]، كان سببًا لاعتقاده بأنّ (الوجود للإله ذاتيّ)، بمعنى أنّه غير محتاجٍ إلى علّةٍ.

3. وبناءً على ما أفاده ليفتو من ضرورة أن يكون الإله خارجًا عن المكان والزمان [فلو، هناك إله، ص207ـ208ـ209ـ210] اعتقد فلو بأنّ الإله (مجرّدٌ) وكذلك (لا يتغيّر).

4. وأمّا اعتقاده (بقدرته المطلقة) و(علمه غير المحدود)، فقد استند فيه إلى أصل وجود الكون ونظمه الدقيق.

وهكذا يتّضح أنّ النتائج الّتي خلص إليها مساويةً للأدلّة من وجهة نظره.

نقدٌ وتقويمٌ

وإن كانت النتائج مساويةً للأدلّة بنظره، إلّا أنّه بحسب النظرة الفلسفيّة الفاحصة، يمكن توجيه النقد إلى هذه الأدلّة إذا ما قيست إلى النتائج. فهاكَ نقدها وتقويمها:

النقطة الأولى: لا يوجد ضرورةٌ أنطولوجيّةٌ ولا حتّى منطقيّةٌ بين الدليل الطبيعيّ بلحاظه الثاني من الشكل الثاني من جهةٍ، والاعتقاد بوجود الإله من جهةٍ أخرى. والتقويم يكون من أحد هذه الطرق:

1. إمّا المصير إلى الدليل الطبيعيّ بشكله الأوّل، أي ما يسمّى بـ "برهان النظم" الّذي هو من سنخ البراهين الإنّيّة.

2. وإمّا المصير إلى برهان الصدّيقين للفلاسفة الإسلاميّين وهو من سنخ

(1) أستاذ الفلسفة في جامعة أكسفورد، ويعدّ علمًا من أعلام المسيحيّة المعاصرين.

البراهين شبه اللمّيّة، من قبيل: برهان الإمكان لابن سينا أو برهان الوجود الفقريّ لصدر المتألّهين. وتجدر الإشارة إلى أنّ من التقارير القيّمة لبرهان الصديقين ما أُسّس على المنطق الرياضيّ. [حائري يزدي، هرم الوجود، ص 79 و83]

3. وإمّا المصير إلى البرهان الوجوديّ، الّذي يعدّ من البراهين القَبْلِيَّة السابقة على أيّ نوعٍ من الخبرة. ولا يتّسع المقام لبسطه، وتحليل تقريراته على تنوّعها، فيُرجع فيه إلى أمّهات الكتب.

النقطة الثانية: غاية ما يثبته برهان التسلسل هو انتهاء سلسلة العلل عند علّةٍ ما، أي "عدم وجود علّةٍ له"، ولا يُثبِتُ "عدم احتياجه بذاته إلى علّةٍ" مع أن الأخير هو المدّعى، وبالتالي يكون الدليل الّذي هو التسلسل أجنبيًّا عن المطلوب الّذي هو "عدم الاحتياج بذاته إلى علّةٍ"؛ إذ بإعمال المداقّة العقليّة نستكشف الفرق بين "عدم وجود علّةٍ له" و"عدم احتياجه بذاته إلى علّةٍ". ويمكن تقويم هٰذا الدليل من خلال بيان وجه الملازمة بين نتيجة برهان التسلسل والمدّعى، إذ إنّ "عدم وجود علّةٍ له" مع كونه: موجودًا أوّلًا، وكون مناط الاحتياج إلى العلّة هو الوجود ثانيًا، يلازمه أن يكون وجوده ذاتيًّا له، غير ممنوحٍ إليه. كما أنّ برهان الصدّيقين الّذي تقدمت الإشارة إليه يثبت هٰذا المدّعى بالإضافة إلى إثبات أصل وجود الإلٰه.

النقطة الثالثة: يوجد في هٰذه النقطة مدّعياتٌ ثلاثةٌ: أوّلها: الإلٰه خارجٌ عن الزمان والمكان، وثانيها: ما هو خارجٌ عن الزمان والمكان مجرّدٌ، وثالثها: المجرّد لا يتغيّر. وهٰذه المقدّمات مجتمعةً تشكّل قياسًا مركّبًا نتيجته "الإلٰه لا يتغيّر". أمّا الدليل على المقدّمة الأولى فقد اعتمد فيه فلو على ما أفاده ليفتو، وهو أنّ فكرة الإلٰه الخارجة عن الزمان والمكان تتوافق مع النسبيّة الخاصّة (Special relativity) [فلو، هناك إلٰه، ص 207]، وهنا يتّضح أنّ فلو يسعى لتحصيل دليلٍ فيزيائيٍّ على إمكان هٰذه الصفة، وهٰذا ما لا يتمّ على مباني نظريّة المعرفة، حيث إنّه يوظّف فرضيّةً فيزيائيّةً

في إثبات صفةٍ ميتافيزيقيّةٍ. وتقويم هٰذا الدليل باختصار يكون من خلال القول بأنّ الزمان والمكان مخلوقان والفرض أنّ الإلٰه خالقٌ لكلّ ما سواه، وإلّا للزم محذور تعدّد الواجب. وأمّا الدليل على المقدّمة الثانية فلم يبيّنه المؤلّف، وهو أنّ الزمان والمكان من خواصّ الأجسام، فما لا زمان ولا مكان له فهو مجرّدٌ. وأمّا المقدّمة الثالثة فلم يبيّن دليلها، وهو أنّ المجرّد فعليٌّ لا قوّة فيه، وبالتالي لا ينتقل من القوّة إلى الفعل، فهو لا يتحرّك ولا يتغيّر.

النقطة الرابعة: لا يكون أصل وجود الكون والنظم الدقيق مُثبِتيَن للقدرة المطلقة والعلم غير المحدود. نعم، قد يثبتان القدرة والعلم دون تقييدهما بالإطلاق؛ لأنّ الكون محدودٌ، فكيف يستدلّ بالمحدود على أمرٍ مطلقٍ؟ ويمكن تقويم هٰذا الدليل بأحد طريقين:

1. استفادة الإطلاق في صفتي العلم والقدرة من خلال القاعدة الفلسفيّة "كلّ ما ثبت له بالإمكان العامّ، وجب له"، فإنّه إن أمكن له العلم والقدرة، وجبا له، وبالتالي ما كان واجبًا لا ماهيّة له، أي لا حدّ له، وما لا حدّ له مطلقٌ، فالعلم والقدرة لا حدّ لهما.

2. أن نحافظ على مقدّمة "النظم البديع" الّتي استند إليها فلو، ونضمّ إليها مقدّمةً أخرى "ليس بالإمكان أكمل ممّا كان"، فإنّ هٰذا النظام البديع هو الأفضل والأكمل بلا حدٍّ، أي كماله لا حدّ له، وهٰكذا يستكشف عن طريق الإنّ أنّ خالقه لا حدّ لقدرته وعلمه، ولا يلزم محذور الاستدلال بالمحدود على المطلق.

اللاهوت الطبيعيّ (Natural theology) وربوبيّة فلو

بعد معاينة الأدلّة المتقدّمة في المطلب الثاني، لسنا بحاجةٍ إلى زيادة تأمّلٍ للحكم بأنّ أنطوني فلو قد توسّل أدلّة اللاهوت الطبيعيّ للاعتقاد بالإلٰه؛ وقد صرّح

بذٰلك في قوله: «لقد كان اكتشافي للإلٰه عبارةً عن ممارسة ما يسمّى تقليديًّا بـ (اللاهوت الطبيعيّ)» [المصدر السابق، ص 127]. وهٰكذا يكون قد التحق بركب الربوبيّين إلى هٰذه النقطة من البحث، أمّا أنّه هل آمن بديانةٍ أو رسالةٍ سماويّةٍ معيّنةٍ بعد ذٰلك أم لا؟ فهٰذا ما يستدعي قراءةً مستقلّةً في مناظراته مع المسيحيّة، عسى أن يوفّقنا الله ـ تعالى ـ إلى كتابتها في قابل الأيّام.

الخاتمة

كان غرضنا بيان أهمّ الأسباب الّتي دفعت فلو باتّجاه الإلحاد، والأسباب الّتي أدّت به للعدول عن ذٰلك، والاعتقاد بوجود الإلٰه، ثمّ إلقاء نظرةٍ تحليليّةٍ على أهمّ تلك الأدلّة. وقد تمّ ذٰلك بعون الله، وخلصنا من هٰذه القراءة الاستقرائيّة والتحليليّة بالنتائج التالية:

1. اتّضحت الأسباب الّتي دفعته للإلحاد، والّتي تمثّلت بنفي القيمة المعرفيّة للّغة الدينيّة وخلوّ مفهوم الإلٰه من المعنى، ومعضلة الشرّ، وعدم العثور على دليلٍ للاعتقاد.

   وقد تراجع فلو عن الأسباب المؤدّية للإلحاد، فوضّح أنّه لم يتبنّ وجهة نظرٍ بالنسبة للّغة الدينيّة، واعتقد بأنّ مفهوم الإلٰه ليس مجرّد اسمٍ خالٍ من المعنى، ونقد على نفسه التمسّك بمعضلة الشرّ كسببٍ للإلحاد، ثمّ فسّرها على وجهٍ ينسجم مع الاعتقاد، وأمّا عدم العثور على دليلٍ فقد اتّضح موقفه من هٰذا السبب خلال إقامة الأدلّة على (وجود الإلٰه).

2. وقفنا على الأسباب الّتي كان لها الدور الأبرز في تغيير مسار البوصلة عند فلو في مرحلةٍ متأخّرةٍ من عمره، حيث أقام أدلّةً على الاعتقاد، بعد نقد أسباب الإلحاد. وقد تمثّلت الأدلّة بشكلٍ أساسيٍّ بقوانين الطبيعة، والتنظيم

الغائيّ للحياة ووجود الكون.

3. اتّضح لنا من خلال النظرة التحليليّة أنّ الأسباب الّتي تمسّك بها في سبيل الإلحاد، كانت قاصرةً معرفيًّا ومنطقيًّا عن النهوض بنتيجة الاعتقاد بعدم وجود إلٰهٍ.

   وأمّا الأسباب الّتي تمسّك بها للعدول عن إلحاده والاعتقاد فهي أسبابٌ مساويةٌ للنتائج بنظره، ولٰكنّنا عملنا بالتحليل على نقدها وتقويمها.

4. لقد حاول فلو في رحلته أن ينقاد بالدليل العلميّ أو العقليّ الفلسفيّ، دون الاعتماد على اللغة الدينيّة، مع العلم أنّه كان ناظرًا إلى الكلام المسيحيّ فحسب. هٰذا، وقد وصل إلى ما وصل إليه من خلال التمسّك بأدلّة ما يسمى (اللاهوت الطبيعيّ)، وهٰكذا صار في صفّ الربوبيّين.

قائمة المصادر

1. ابن سينا، الحسين، الإشارات والتنبيهات (المنطق)، شرح: نصير الدين الطوسي، فخر الدين الرازي، وقطب الدين الرازي، تحقيق: وسام خطاوي، ويراست سوم – 1396ش، انتشارات مطبوعات ديني، إيران – قم.
2. ابن سينا، الحسين، الشفاء (الإلٰهيات).
3. افضلي، علي، برهان وجودي در فلسفه غرب و فلسفه اسلامي، چاپ يكم – 1396 ش، ناشر: مؤسّسه پژوهشي حكمت و فلسفه إيران – تهران.
4. بول ديفيز، الجائزة الكونيّة الكبرى: لماذا الكون مناسب للحياة؟ ترجمة: سعد الدين خرفان، منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، وزارة الثقافة، 2011 م، سوريا – دمشق.
5. الحاج، كميل، الموسوعة الميسرة في الفكر الإسلاميّ والاجتماعيّ، الطبعة الأولى – 2000م، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان – بيروت.
6. حائري يزدي، مهدي، هرم هستي: تحليلي از مبادي هستي شناسي تطبيقي، چاپ چهارم (با ويراستاري جديد) – 1398، ناشر: مؤسسه پژوهشي حكمت و فلسفه إيران – تهران.
7. حائري يزدي، مهدي، هرم الوجود: دراسةٌ تحليليّةٌ لمبادئ علم الوجود المقارن، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، الطبعة الأولى – 1990 م، دار الروضة، لبنان – بيروت.
8. الخشن، حسين، عالمٌ دون أنبياء! دراسةٌ نقديّةٌ في الفكر الربوبيّ، الطبعة الأولى – 2017 م / 1438 هـ.
9. رمسيس، عوض، ملحدون محدثون ومعاصرون، الطبعة الأولى – 1998م، سينا للنشر ومؤسّسة الانتشار العربيّ، لندن – بيروت – مصر.
10. السبزواريّ، الملّا هادي، شرح المنظومة (قسم الحكمة)، الطبعة الأولى، نشر وتوزيع: مؤسّسة التاريخ العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان – بيروت.

11. السمهوريّ، مها أحمد، اللغة والمعنى عند فتجنشتين (مقالةٌ)، المجلة الأردنّيّة للعلوم الاجتماعيّة، المجلّد 9، العدد 3، 2016.

12. سولمون، روبرت، الدين من منظورٍ فلسفيٍّ (دراسة نصوصٍ)، ترجمة: حسون السراي.

13. شريف، عمر، رحلة عقلٍ: هٰكذا يقود العلم أشرس الملاحدة إلى الإيمان، تقديم: أحمد عكاشة، الطبعة الرابعة – 1432 هـ/ 2011 م، مكتبة الشروق الدوليّة، مصر.

14. الشيرازيّ، صدر الدين محمّد، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة.

15. الشيرازيّ، صدر الدين محمّد، مجموعة رسائل فلسفيّةٍ، رسالة خلق الأعمال، الطبعة الأولى – 1422 هـ/ 2001 م، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان – بيروت.

16. الطباطبائيّ، محمدحسين، أصول الفلسفة والمنهج الواقعيّ، تقديم وتعليق: مرتضى مطهّري، ترجمة: عمار أبو رغيف.

17. عامري، سامي، مشكلة الشرّ ووجود الله: الردّ على أبرز شبهةٍ من شبهات الملاحدة، الطبعة الثانية – 1437 هـ / 2016 م، المؤسّسة العلميّة الدعويّة العالميّة، المملكة العربيّة السعوديّة – الخبر.

18. عليزمانى، اميرعباس، سخن گفتن از خدا، الطبعة الثانية – 1395 ش، چاپ وصحافى: چاپخانه مجمع جهاني اهل بيت، ناشر: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ و انديشه اسلامى، إيران – تهران.

19. عماد الدين إبراهيم، عبد الرزاق، مفهوم الألوهيّة في فلسفة ريتشارد سوين بيرون (مقالة)، نشر: مؤمنون بلا حدودٍ.

20. فلو، آنتوني، هر كجا كه دليل ما را بَرَد: از اصل "خدا هست" تا "خدا نيست"، تأليف و ترجمه: حسن حسيني، ويراست دوم – 1394ش، پژوهشگاه علوم انسانى و مطالعات فرهنگى، إيران – تهران.

21. فلو، أنطوني، هناك إلٰهٌ: كيف غيّر أشهر ملحدٍ رأيه، ترجمة: صلاح الفضيلي، مراجعة وتعليق: مرتضى فرج، الطبعة الثانية – 1438 هـ، العتبة العبّاسيّة المقدّسة.

22. كنت، إمانويل، نقد العقل العملي، ترجمة: غانم هنا، المنظّمة العربيّة للترجمة،

الطبعة الأولى – 2008 م، لبنان – بيروت.

23. ماجد فخري، أرسطوطاليس: المعلم الأوّل، المطبعة الكاثوليكيّة، لبنان – بيروت.

24. There Is A God: How the world s most notorious atheist changed his mind (HarperCollins e-books), Antony Flew.

25. THEOLOGY AND FALSIFICATION (From the University Discussion), ANTONY FLEW.

26. THE EXISTENCE OF GOD, SECOND EDITION – 2004, RICHARD SWINBURNE, (CLARENDON PRESS – OXFORD).